على اصلاح سيرته وسريرته مع انهُ كان ابقى الناس واعدلهم وابعدهم عن الخطإ كما قال فيهِ زينفون. ولكنهُ كان كصالح في ثمود فقام خصومهُ الذين عاب جورهم واعتسافهم وادَّعوا عليهِ ثلاث دعاوي

الأولى انهُ خان وطنهُ باهمال الوظائف السياسية وانتقاد آداب رجال السياسة

الثانية انهُ ادخل آلهة جديدة بطلبهِ اصلاح المعتقدات الدينيَّة وتحويرها

الثالثة انهُ افسد اخلاق الشبان لانهُ علَّمهم ان يخالفوا معتقدات الجمهور اذا كانت تخالف العلم الحقيقي والسلوك الصحيح

ولما حكم عليهِ بالموت قال ان الموت طريقنا الى حياة افضل من هذه الحياة الدنيا فاهلاً بهِ ومرحبًا. وانهُ يسرُّهُ لتخليصهِ اياهُ من اتعاب الشيخوخة وآلامها لاسيَّما وانهُ ابقى بعدهُ اسمًا محمودًا وصيتًا منزهًا عن العيب. وان الفيلسوف يستخير الموت على الحياة ولكنهُ لا يقتل نفسهُ بيدهِ لان الاحجام عن متاعب الحياة جبانة. وان الفلسفة قد اعدَّتهُ للموت بتفريقها بين عقلهِ والدنيويات كما يفرق الموت بين النفس والجسد. ثم جعل يحثُّ الذين حولهُ على اتباع سنن الفضيلة والحكمة لينالوا الثواب في الآخرة. وقبل ان يسلم الروح التفت الى فيدو احد اتباعهِ وقال لهُ صلِّ الى الآلهة لتسهِّل ذهاب نفسي الى هناك ثم تجرع كاس السم. قال فيدو فبكيتُ ولكن ليس عليهِ بل على نفسي وعلى خسارتي لهُ

هذا شرح وجيز لديانة اليونان الاقدمين التي بلغت حضيض الاثم في عبادة الزهرة وارج الطهارة والفضل في سيرة سقراط الفاضل الحكيم

ثمار الارتقاء

لجناب اسكندر افندي شاهين ب. ع. سكرتير بوليس اقليم اسيوط

اوضحت في مقالة "ارتقاء العقل والهيئة الاجتماعيَّة" المدرجة في الجزء الماضي من المقتطف الاغرّ كيف سار الانسان في سلَّم الارتقاء حتى بلغ درجة التمدن الحاليَّة ونظم هذه الهيئة الاجتماعيَّة. ولما كان ارتقاء الهيئة الاجتماعية يستلزم ارتقاء سائر الكمالات البشرية جعلت هذه المقالة تتمة لتلك محرِّرًا فيها ذكر ما انتجهُ ارتقاء الهيئة الاجتماعية من النتائج التي سميتها "ثمار الارتقاء" وهي اللغات والصنائع والعلوم والآداب والمعتقدات وساقصر كلامي الآن على الاربع الاولى منها فاقول

اللغات * اللغة ثمرة نتجت عن ارتقاء الهيئة الاجتماعية لانهُ لما تكاثر افراد النوع الانساني واضطروا الى مبادلة الافكار للتعاون على جلب الخير ودفع الضير استعملوا الفاظًا يتفاهمون بها

فحصلت اللغة. ونموها وارتقاؤها امتاز الانسان عمَّا دونهُ من انواع الحيوان وان يكن لبعض تلك الانواع قوَّة التعبير عمَّا في ضمائرها باصوات مفهومة عند افرادها وكثير منها مفهوم عند الناس ايضاً. وقد دقق علماء اللغات في مقابلة هذه الاحوال بالالفاظ البشرية في كثير من اللغات السافلة فوجدوا بينها مشابهة تذكر ولكنهم مع ذلك لا يسمُّون تلك الاصوات لغةً اذ اللغة مخصوصة بالانسان دون سائر الحيوان

ومما يستخرب ادرهُ ان لغات الاوَّلين كانت في عهد الخشونة قريبة من لغات المتوحشين لهذا العهد وبالتالي اشبه بتلك الاصوات الحيوانية من لغات المتمدنين اي ان اللغة كانت في بادىء امرها لا تزيد عن بعض الالفاظ الوحشية اللازمة لتعبير الانسان عن افكاره. ولا تزال ادلَّة ذلك ظاهرة في كل لغات الارض فاضرب عنها صفحًا اكتفاء بالمقالات الضافية التي جاءت في المقتطف الاغر وفي كتاب "الفلسفة اللغوية في الالفاظ العربية". ولغات أدنى المتوحشين في هذه الايام اكثرها اصوات والفاظ متقاربة لفظًا يعسر على المتمدن تمييزها ولغات مَن فوقهم قليلاً ارقى قليلاً وهكذا كلما صعدت في سلَّم الحضارة رأيت اللغة تتهذب وترتقي كما لا يخفى. وقد توصل علماء اللغات (الفيلولوجيون) في هذه الايام الى رد اكثر الالفاظ المستعملة في لغات المتمدنين الى اصول قليلة اكثرها متاطع بسيطة تقرب من اصوات الحيوانات الطبيعية

ومما افاد في نمو اللغة الاشارات لان الانسان اذا استعمل لفظًا لم يفهمهُ غيرهُ افهمهُ اياهُ بالاشارات. ولا يزال للاشارات اعتبار عظيم في كثير من اللغات فبعض هنود اميركا لا يتكلمون الاَّ بالاشارة و بعضهم لغتهم مختصرة جدًّا فلا يتمُّ بينهم التفاهم بدون الاشارات ولذلك حرَّموا كثرة الكلام ومنعوا المخابرات المهمة في الظلام لخفاء الاشارات حينئذٍ فلا يفهمون المراد. واستعمال الاشارة عند كل البشر دليل قاطع على ان الانسان ورثها عن اجداد كانوا يتفاهمون بها وكذلك الاصوات التي لا معنى لها في ذاتها وانما يصوت بها المتمدنون طبعًا عند الانفعال الشديد فهي تقارب اصوات العجماوات. او لغة المتوحشين من المتوحشين وهي دليل واضح على انها موروثة عن اجداد كانوا يعبرون بها عن انفعالهم. فاشتراك البشر جميعًا في هذه الاصوات والاشارات يقرّب من عقل اللبيب تصديق ما قلناهُ وهو ان اللغة كانت في بادىء امرها اصواتًا منقطعة واشارات وحركات طبيعية ثم ارتقت بارتقاء الهيئة الاجتماعية وتوفر اسباب الاجتماع ولوازم العمران حتى تألف من تلك الاصوات او المقاطع المنقطعة الفاظ مفردة بسيطة ومن تلك المفردات جمل ذات معان مفيدة وهكذا حتى تشعَّبت اللغات وصارت على ما نراها عليهِ الآن

وقد حاول كثيرون من الباحثين ان يعرفوا ماهية بعض المقاطع الاصليَّة التي كان يستعملها

الانسان عند اول وجوده على الارض فلم يستطيعوا والارجح انها كانت تتغير حسب الاحوال والظروف وان الالفاظ الأولى وضعت للمسمّيات الحسيّة التي كان الانسان يسعى في تحصيلها او اجتنابها وذلك اقرب شيء الى الطبع ثم صارت هذه الاسماء تتخذ للدلالة على الافعال التي تفعلها مسمياتها وذلك كثير في لغات المتوحشين لهذه الايام فبعضهم يعبّر عن الذئب والشراسة والهجوم بلفظ واحد وكذا عن الحيّة والزحف وقس عليه. وامثال ذلك غير نادرة في لغات المتمدنين ايضاً

ولمّا كان اعتماد اللغة على الهيئة الاجتماعيّة كانت تابعة لها في احوالها فاذا انحطّت الهيئة الاجتماعيّة وتأخرت انحطت اللغة وتأخرت ايضاً واذا اسرعت في الرقاء والارتقاء اسرعت اللغة معها كذلك. ولكن مسيرها كان بالاجمال نحو الارتقاء والكمال حتى صارت عرائس الافكار تتجلّى فيها وبدائع الاشعار تتهلّى بحليّها فنظمت بها القصائد وصنفت الكتب وصار درسها والتبحّر فيها من الكمالات التي يتجمّل بها نوع الانسان والصفات التي يتّصف بها اشهر المتمدنين. فاللغة هي الحدّ الفاصل بين الانسان وما دونه من الحيوان وآلة التقدم والعمران ومقياس التمدّن وانتظام اجتماع الانسان

الصنائع * الصناعة بنت الحاجة وقد كانت في اول عهدها قاصرة على اهمّ ما يحتاج اليه المرء لحفظ حياته وحياة والده ثم ارتقت بارتقائه. ولما كانت من حلة ثمار العقل وكان ارتقاؤها بارتقائه صح اتخاذها مقياساً لارتقاء العقول ولتقدم تمدّن الامم. وما الصناعة الاّ حيلة لتقليد الطبيعة في اعمالها ولذلك كان الغرض من المصنوعات قضاء الحاجات التي تقضيها الطبيعة وانما عدل الانسان عن الطبيعة الى الصناعة لان الطبيعة غير خاضعة لارادته في اعمالها فعمل الآلات والادوات ليستخدمها متى اراد وجعل يزيد في عملها اتقاناً واحكاماً فبلغت الصناعة بذلك ما هي عليه الآن من الارتقاء. ولست اريد ان اطيل الكلام في تقدم الصناعة وارتقائها فانا اول من وصف ذلك ولم يبقَ وصفه غريباً على المسامع. ولكن حسبي ان انبّه القارئ اللبيب الى المتادس والاطالس ونفائس الملابس التي يلبسها الانسان اليوم عوضاً عن جلود الوحوش واوراق الاشجار التي كان يتستّر بها في بداءة امره. والى الاسلحة التي تسبي العقول بدقتها وقوة فعلها وتبهر الابصار برونقها وهيئتها عوضاً عن العصيّ وظرّان الصوّان. والى الآلات الزراعيّة واصطناع السمادات والتفنن في حرث الارض وزرعها على وجوه لا تحصى عوضاً عن اجتناء الاثمار البرية واقتلاع الاعشاب والجذور او عن نكت التراب باصابعه وطمر القليل من البزور فيه كما كان يفعل في حال خشونته. والى المباني الفخيمة والقصور العظيمة والاقدان الباذخة والانوار الساطعة التي تخجل منها البدر وتغار منها الشمس عوضاً عن الكهوف الخربة التي كان يأوي اليها ويصيص النار

التي كان يقتدحها بعد الجهد والعناء . والى السكك الحديدية والسفن الشراعية والبخارية والاسلاك البرقية والبريد والتلفون وسائر ما وصل اطراف الارض معًا فتقرّب بعيدها وكشف مجهولها وغريبها عوضًا عن قطعه للمسافات على رجليه او ركوب الاخشاب الطافية على وجه الماء وقطع الجداول والانهار بها الى غير ذلك مما يعجز عن وصفه قلم البليغ وتضيق عن استيعابه المجلدات الضخمة . والخلاصة ان الصناعة بنت الحاجة هي ثمرة من ثمار ارتقاء الهيئة الاجتماعية . وهي كاللغة مرقية لها ومرتقية بها فهي فاعلة بها منفعلة منها في آنٍ واحدٍ

العلوم * اما العلوم فتقدمها أظهر من ان يذكر . فاي شيء اوضح من ارتقاء معارف الانسان عمّا كانت عليه في حالته الاولى الهمجية الى ما تراها عليه في البلدان المتمدنة . واي شيء لم يعرفه الانسان اولم يحاول معرفته حتى الآن وفي اي فرعٍ من العلوم لم تظهر دلائل الارتقاء واضحة تمام الوضوح . ألا ترى ان المرء قد تمكن بالعلم من إذلال الطبيعة والحكم على قواتها والاطلاع على اسرارها . كيف لا وقد صار الانسان الآن يجاس في مقصورته فيحل رموز الطبيعة ويتنبأ بمستقبل حوادثها ويقيس ابعاد كواكبها ويزن اجرامها ويحلل مركباتها ويركب بسائطها الى غير ذلك مما يكاد يجعل العالِم نوعًا ممتازًا عن الجاهل والمثقف بالمعارف عن المتوحش الغائص في ظلام الجهل حتى انه لو هب المتوحشون منذ اليوم من سنة الجهل وساروا في اثر المتمدنين واهل المعارف لما بلغوا درجتهم الحاضرة من الارتقاء الاّ تدريجًا بعد زمان لا يقلّ عن الثنين من السنين . والادلة على الارتقاء في العلوم كثيرة في كل فرع منها فتكتفي بايراد واحدٍ منها وهو العدّ مثالاً لغيره

قد مرّ ان الانسان ابتدأ بالتعبير عن مرادهِ بالفاظ بسيطة . ولما كان لا بدّ له من ذكر اعدادٍ فوق الواحد وكانت الاشارة لازمة لزومًا كليًّا للتعبير عن افكاره في حالته الاولى كما قدمت جعل يشير الى الاعداد بيده . فلما وجد ان في اليد نفسها ما يدل على العدد وهو الاصابع استغنى بها عن الاشارة بغيرها وصار يشير ببعض الاصابع او كلها للدلالة على العدد الذي في ذهنه . ثم اطلق على الاعداد اسماء الاصابع واليد واليدين وآثار ذلك باقية في كل اللغات المعروفة فاسهل طرق الحساب عندنا في طريقة العد بالعشرات والمئات وهي تدلّك على ان اصل العد كان على الاصابع العشر . وزد على ذلك انه لم يزل الى الآن اقوام متوحشون لا يعرفون للحساب غير العد على الاصابع وبعضهم لا يتجاوز ادراكه عددًا فوق الخمسة او العشرة وما زاد عنها عبّر عنه بلفظ الكثرة ولم يستطع عدّه . فاذا كانت هذه معرفة الناس الاولين في العد والاعداد فانظر الى الارتقاء العظيم الذي بلغهُ البشر في علوم العدّ حيث تعتبر العلوم

الحسابية والرياضية في زماننا في اسمى درجة بلغت اليها العقول . وقس على العدد غيرهُ من العلوم التي لا اطيل الكلام بذكرها بل اشرع في الثمرة الرابعة من ثمار الارتقاء أعني الآداب وهي اسمى معنًى واشدُّ خفاء مما سبق

الآداب ★ اولا الهيئة الاجتماعية لما كان للآداب وجود ولا اعتبار لانهُ لو وجد كل انسان منفردًا عن اقرانهِ لما كانت افعالهُ تعتبر جائزة او غير جائزة محلَّلة او محرَّمة اذ اعتبار الحلال والحرام في افعال الانسان انما يكون بالنظر الى بقية الناس الذين هو بينهم فلولا وجود الانسان في هيئة اجتماعية اعني بين اناس آخرين لكان ما يُعَدُّ فعلهُ الآن سرقة او تعديًا او ظلمًا او رياء مثلًا لا يُعَدُّ في شيء من ذلك . والحاسة الادبيَّة التي بها نميز ونشعر بكون الافعال صوابًا او خطاء حلالاً او حرامًا هي الضمير او الذمَّة ووجودها في الانسان نتج اصلًا عن انتظامهِ في هيئة اجتماعية وهي الآن غريزية يولد الانسان مفطورًا عليها . ثم ان الانسان مَيَّال من طبعهِ الى المعاضدة والاتحاد واصل هذا الميل فيهِ نتج عن حكم الضرورة التي كانت تسوقهُ الى الاتحاد والتعاون لدفع الضرّ عنهُ وجلب الخير اليهِ كما تقدَّم ثم صار ذلك يتوالى من السلف الى الخلف حتى رسخ في الفطرة وصار طبعًا يرثهُ الاولاد عن آبائهم . وهذا الميل الى الاتحاد والتعاون يُحكَم على البواعث والافعال بالنسبة اليهِ . فان كانت البواعث التي تحمل الانسان على عمل امرٍ ما مطابقةً لهذا الميل آيلةً الى صونهِ وتقويتهِ استحسنتها الهيئة الاجتماعية ومدحتها لانها مطابقة لصالحها ومنفعتها والاَّ استهجنتها وذمتها لانها منافية لمصلحتها آئلة الى مضرتها . فصار كل فعلٍ من الافعال الموافقة لصون الهيئة الاجتماعية وتأييد دعائمها يُعَدُّ صوابًا او حلالاً مأمورًا بهِ وكلُّ فعلٍ يجلب عليها الضرر ويعود عليها بالانحلال والاضمحلال يعدُّ خطاء او حرامًا منهيًّا عنهُ . فالحكم على الافعال من حيث الصواب والخطإ او الحلال والحرام هو بالنظر الى نفعها او ضررها للهيئة الاجتماعية وبحسب ذلك سنَّت الشرائع والاحكام . فالضمير (او الذمَّة) هو ثمرة ارتقاء الهيئة الاجتماعية وواضع الشرائع والسنن الادبية كلها

وارتباط الانسان مع بقيَّة نوعهِ برباط الشرائع لتقوية الاتحاد والتعاون يقيِّد حريتهُ بعض التقييد ولكنهُ لا يمنعهُ من قضاء مصالحهِ على ما يريد ويختار بل انهُ قد يساعدهُ على ذلك لانهُ يتعلَّم قيمة نفسهِ واعتبارها من اعتبارهِ لغيرهِ ومراعاتهِ لحقوقهم . والخلاصة ان انتظام الهيئة الاجتماعية وقيام العمران لا يكونان الاَّ اذا اهتمَّ كل انسان بصالح نفسهِ وراعى صوالح غيرهِ فلم يتعدَّ على حقوقهم وان الانسان يعدُّ افعالهُ فضائل او رذائل بالنظر الى ما قد تقرَّر عند الهيئة الاجتماعية من استحسانها ومدحها او استهجانها وذمها ولكن من الناس من لم يراعِ حكم الهيئة الاجتماعية بل

تبع حكمه منساقًا باهوائه واميالهِ الدنيئة من مثل الجوع والعطش وحب الانتقام ونحوها من الاميال المسمَّاة بالعرضية تمييزًا لها عن الاميال الثابتة وهي الاميال الشريفة السامية في الانسان التي تسوقهُ الى محاسنة بني نوعهِ ومجاملتهم وترقية حالهم . ومن طبع الانسان انهُ اذا اطاع اهواء نفسهِ واميالها الدنيئة المشار اليها وجد بعدها سوء العاقبة وندم عليها واعتمد على مقاومتها واذا اطاع اميالهُ السامية وجد الغبطة والسعادة ورغب في مطاوعتها دائمًا لما فيها من الخير . وكل ذلك يسهل فيهِ بالمزاولة والعادة ويرسخ ويثبت بالوراثة . ومن البلِيَّة ان بعض افراد البشر عوَّدوا انفسهم التسليم للاهواء والاميال الدنيَّة العرضية حتى ضعف فيهم الحسُّ الادبي اعني الضمير او الذمة فافرطوا في فعل ما يجلب فعلة الهلاك عليهم وعلى من حولهم حتى صارت الهيئة الاجتماعية تودُّ ان تتنقَّى من شوائبهم وتتطهر من اقذارهم فتولِّيهم الانتخاب الطبيعي سنَّة الله في خلقهِ فاضمحلهم وجعل مصيرهم الى الدمار . والراجح ان كل امة لا تراعي العفاف والاستقامة والصدق والعدالة وسائر الفضائل تتعرض وتتلاشى بحكم الانتخاب الطبيعي انقراض اولئك الافراد

وامتدت الآداب من الافراد الى العيال فالعشائر فالبلدان ولكن امتدادها ظل محصورًا داخل حدود العشيرة عند كثير من الطوائف القديمة ولم يزل كذلك الى الآن . ولما كانت الآداب هي بالنسبة الى نفع الهيئة الاجتماعية وضرِّها وكان هذا النفع وهذا الضرُّ يعلمان شيئًا فشيئًا بطول الاختبار وزيادة العلم كان حكم الامم على الافعال تفصيلاً مختلفًا بحسب تفاوتهم في المعرفة والاختبار فما تعدُّهُ صوابًا وحلالاً هنا قد يعدُّهُ غيرنا خطاء وحرامًا وهكذا . وهذا سبب ما تراهُ بين الناس من الاختلاف في حكمهم على الخطإ والصواب في الافعال . ولهذا السبب ايضًا يتغيَّر حكم الشعب الواحد على بعض الافعال ولذلك تجد السنن والاحكام الادبية في تغيُّر دائم من درجةٍ الى اسمى منها . وشواهدنا على ذلك كثيرة منها ان المتمدنين كانوا من عهدٍ قريب يتاجرون بالرقيق و يقتلون الاسرى و يعاقبون السحرة والهراطقة بالموت والآن يعدُّون هذه الافعال افعالاً فظيعة و بعضهم يحرمها تمام التحريم وكان المتقدمون لا يجدون فيها شيئًا من الحرام بل يعدُّون بعضها فضائل يفتخر بها

ولم تكن ضمائر الناس حينئذٍ تبكتهم عليها حتى قام من امتاز بقوة ادبية فاظهر للبشر عدم موافقتها لصالح الهيئة الاجتماعية فانجلى للافراد الحق وتركوا تلك السنن وهذا هو المراد من ارتقاء الآداب . ومما يدلُّ على ارتقاء آداب الامم ائتلافها وامتزاجها و إبرامها المعاهدات الادبية التي تؤول الى النفع العام . فبعد ان كانت الآداب قاصرة على العشائر وكانت كل عشيرة تعدُّ التعدِّي على حقوق غيرها فضيلةً عمت الآداب البلدان والممالك فصارت الامم تعترف بحقوق بعضها على

بعض وقلّت الحروب مع ان المطامع زادت والمزاحمة لاحراز قصب السبق في ميدان التمدن اشتدّت والمشاكل تعدّدت . وربما كان هذا افضل نتائج الآداب . والهيئة الاجتماعية تعلم ان ارتقاءها الادبي هذا نتج اكثرهُ من اجتهاد بعض افرادها الذين امتازوا بقوة العقل والحس الادبي كما يمتاز غيرهم بقوة البنية ونحوها فلمثل هؤلاء الافاضل اكبر الفضل في تمدن الناس لانهم عمموا مبادئ الآداب وقربوها الى الذهن واظهروا باجتهادهم فساد كثير من الاعتقادات الذميمة وصلاح ما هو انسب منها . ولم تقتصر انعامهم على تعميم الخير بين البشر بل شملت الحيوانات الدنيا ايضاً ألا ترى ان كرام القوم تالفوا لجانًا للنظر في امر الحيوانات الداجنة وتخفيف آلامها كما تؤلف اللجان لمساعدة الضعفاء وتخفيف مصائب المساكين من ابناء آدم

اما بعض الافراد او الامم الذين يعيبون الانسانية بفاسد آدابهم فانهم في الكون الآ نبياء منثورًا ولا يدومون زمانًا طويلاً . لان البشر لا بدَّ ان ينقادوا الى ما دلَّ عليهِ الاختبار وارشدهم اليهِ العلم . والانسان متى زادت معارفهُ وترقى عقلهُ وجعل يبحث عن علل الحوادث ونتائجها فيجد ان علة الصواب ونتيجتهُ حسنات فيتمسك بهِ ويعرض عن غيرهِ

هذا وقد ابقى لنا الدهر علوم السلف ومعارفهم فضممنا اليها معارفنا فصرنا نعرف ما لم تتيسّر لهم معرفتهُ ولمكن لنا ان نقابل الماضي بالحال ونستدل بعض الاستدلال على الاستقبال ونحكم كيف تكون نتائج اعمالنا عند الذين يخلفوننا ولذلك نتحذّر ونتروّى في ما نفعل . ولما كان الخلف يرث حسنات السلف وسيئاتهِ فقد تعلمنا ان علينا واجبات وبيدنا مبادئ يجب ان نخلفها للذين ياتون بعدنا سليمةً من العيوب نقيَّةً من الشوائب حتى لا نكون سببًا في ضرر الذين نخلفهم على الارض . وهذا الشعور هو من اقوى ما يبعث الانسان على نيل الفضائل والتمسك بالآداب لاسيَّما وان نتائج اعمالنا لا ترد وكل عمل نعمله لا بدَّ ان تدوم عواقبهُ ونتائجهُ ولا قوة في الكون تبطل نتائج الافعال ولذلك كانت ذات اعتبار عظيم بالنظر الى علاقتها بمستقبل الزمان

نجاح العرب بتحسين لغتهم

لجناب رفعتلو اسعد افندي داغر

لقد صرنا والحمد لله في عصر تحصى فيهِ مدارسنا بالعشرات ويعدُّ المطلعون بالمئات ويعدّل الطلاب بالالوف . ولكن لا نزال والامر لله وكتّابنا البلغاء افراد . وشعراؤنا المفلقون كأن قد اضمرتهم البلاد . وخطباؤنا المصقعون غير متجاوزين الآحاد . وعلى ذلك فاسنّة الاقلام لا تبرح